مجلة روافد
للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية
المجلد 08 (02) ديسمبر 2024 ص ص 548-568

الضريبة في المخيال الجزائري في سوسيولوجيا المخيال العنّابي

Tax in the Algerian imaginary
In the sociology of the Annabi imaginary

علي سموك[1] ؛ هشام صاولي[2*]

[1] جامعة باجي مختار عنابة (الجزائر).

البريد الالكتروني: semmoukali@yahoo.fr

[2] جامعة آكلي محند أولحاج البويرة (الجزائر)،

البريدي الالكتروني المهني: h.saouli@univ-bouira.dz

تاريخ الإيداع	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2024/06/11	2024/10/15	2024/12/01

الملخص: إنّ المخيال الاجتماعي هو مجموع التصورات والتمثلات التي تترسّب بالتنشئة، ويتّم تناقلها عبر الأجيال من خلال المثاقفة، لذا نسعى من خلال هذه المحاولة البحثية إلى تفكيك المخيال الاجتماعي تجاه الضريبة والممارسة الضريبية، لفهم السلوك الضريبي- امتثال/تهرّب- تأسيسا على أكسيوم Axiome " الحكم على الشيء هو جزء من تصوّره".

لقد تشكّل في مِخيل المكلّفين بالضريبة، اتجاها عقديا سلبيا عن الضريبة المفروضة عليهم من طرف سلطة تمارس عليهم إكراهات متعددة، تمظهرت في الجوانب التشريعية والتطبيقية، ساهمت في بلورة أفعال مضادة تم تسميتها بالإجرامية، حيث وجد المكلّفون موضوع التسمية أنفسهم يلجؤون إلى الوعاء المخيالي للمجتمع الجزائري والنّهل منه واستعماله لتبرير أفعالهم وبالتالي إسقاط شرعية التسمية.

الكلمات المفتاحية: *ضريبة؛ تهرب الضريبي ؛ مخيال اجتماعي؛ سوسيولوجيا الضريبة؛ مجتمع جزائري.*

Abstract: The social imaginary is the sum of perceptions and representations that are precipitated by socialization, and are transmitted through generations through acculturation, so we seek through this research attempt to dismantle the social imaginary towards tax and tax practice, to understand tax behavior - conformity / evasion - based on the AXIOME: “Judging a thing is part of its perception.”

It was formed in the imaginary of the taxpayers, a negative social contractual trend about the tax imposed on them by an authority that exercises multiple coercions on them,

* **المؤلف المرسل**

manifested in the legislative and the practical aspects, that contributed to the crystallization of counteracts that were called criminal, where the taxpayers – who are the subject of the naming- found themselves resorting to the imaginary container of the Algerian society and using it to justify their actions, thus dropping the legitimacy of the name.

Keywords: tax; tax evasion; social imaginary; tax sociology; Algerian society

1. مقدمة: في اشكالية الفهم

تمثل الضريبة في المجتمع الجزائري موردا أساسيا لميزانية الدولة، شأنها في ذلك شأن أي دولة وصلت إلى مرحلة مأسسة العقد الاجتماعي، الذي يتّم بموجبه دفع مساهمة مالية من قبل الأفراد مقابل منافع وخدمات اجتماعية واقتصادية مباشرة وغير مباشرة، ومن ثم فالانخراط في المنظومة الضريبية طوعا أو إكراها، أضحى ينظر إليه كمظهر من مظاهر المواطنة المنسجمة مع أشكال التنظيم الاجتماعي المعاصر.

إلّا أنّ العلاقة بين المكلّف بالضريبة والضريبة لم تكن توافقية عبر مراحل التاريخ المختلفة، فقد تعزز في تمثلات المكلّف بأنّها اقتطاع غير عادل، وَرَسَخت في مِخياله أنّ السلطة التي تحتكِر جمع الضريبة هي سلطة تعسُّفية، تأخذ الضريبة جبرا دون مقابل، وقد امتّدت هذه النظرة إلى الضريبة والإدارة الضريبية إلى وقتنا الحالي، بفعل عدّة عوامل تخّص المكلّف من جهة والمنظومة الضريبية وما تمثّله من جهة أخرى (بلعوجة، 2017، صفحة 288)، فالضريبة تُعدّ إحدى أفعال التسلط والقهر من جانب الفئة المهيمنة على الدولة، فبالإضافة إلى القهر المادي المباشر، تعمل الدولة على تثبيت سيطرتها وضبط التفاوتات الاجتماعية القائمة، وإعادة إنتاج علاقات القوة داخلها، اعتمادا على ميكانيزمات تأخذ أبعادا مرنة، وتعدّ الجباية إحدى صور هذا الاستغلال.

لقد شكّلت الجريمة الضريبية موضوع اهتمام الدارسين والباحثين في المجال الاقتصادي والقانوني، ثّم انتقلت إلى الحقل المعرفي السوسيولوجي- الذي يزخر بالأدوات المنهجية والنظرية- لمحاولة فهم الظاهرة، والوقوف على العوامل المؤدية إليها والأنساق المتحكّمة فيها.

فدراسة ظاهرة التهرب الضريبي وفق مقاربة سوسيولوجية، تكشف لا محالة عن طبيعة العلاقة بين مُشكّلي الضريبة والنظام الضريبي وبين المكلّفين بها، ولمحاولة فهم القرار الضريبي (امتثال/تهرب) بشكل أعمق، وجب الحفر في المخيال الضريبي أي مخيال المكلفين والكشف عن الصورة المشكّلة عن الضريبة وعن واضعيها.

يصعب من الناحية الابستيمولوجية حصر ظاهرة التهرب الضريبي في أرقام، خاصة في المجتمع الجزائري، فالمنظومة الإحصائية تقدِّر حجم التهرب الضريبي حسب ما وقفت عليه التحقيقات الجبائية فقط، ولذلك نجد تباينا بين الأرقام المحصّلى عليها من الجهات القضائية أوالإدارة الضريبية أومجلس المحاسبة، حيث أصدر هذا الأخير تقريرا يفيد بأنّ الضرائب غير المحصلة في سنة 2014 والناتجة عن تضخيم الفواتير بلغت 1250 مليار سنتيم، ومع نهاية سنة 2015 بلغ مبلغ التهرب الضريبي 1500مليار سنتيم، وقد قُدِّر حجم التهرب الضريبي سنويا بـ 7000 مليار سنتيم. (موسوس، 2018، صفحة 182)

و حسب وزارة التجارة فإنّ حجم المعاملات التجارية التي تّمت بدون فوترة سنة 2017 بلغت - 11600 مليار سنتيم- وعدم استخدام الفوترة لا يسمح للدولة برصد عدد وقيمة الخاضعين للضريبة. (موسوس، 2018، صفحة 182)

وما يزيد من تعقيد حصر الظاهرة كّميا هو حجم السوق الموازي في الجزائر، حيث تشير التقديرات إلى وجود أكثر من 60% من التجارة المحلية تتّم عبر السوق الموازية، وتكلّف الدولة حوالي 2500 مليار سنتيم سنويا، إضافة إلى أنّ 50% من رقم أعمال المتعاملين الاقتصاديين ناتج عن عمليات ذات علاقة بالقطاع غير الرسمي، وهذا ما دفع بالوزير الأوّل سنة 2017 خلال عرضه لقانون المالية 2018، إلى التصريح بأنّ كّمية الكتلة النقدية المتداولة في السوق الموازية تقدر بـ 270000 مليار سنتيم وهي تمثل 50% من مجموع الكتلة النقدية المتداولة. (موسوس، 2018، صفحة 183)

إنّ حجم التهرب الضريبي والذي قد يتجاوز الأرقام المصرّح بها، يدفعنا للتساؤل حول طبيعة العزوف الضريبي، ولماذا يتهرب الجزائري من دفع الضريبة؟ وما هي الصورة المشكّلة في مخيال المكلّفين حول الضريبة؟

2. المفهمة

1.2. الضريبـــة

الضريبة من ضرب يضرب ضربا ضربه، والضريبة الصوف أو الشعر يُنفض ثم يُدرج ويُشّد بخيط ليغزل، فهي ضرائب. والضريبة، الصوف يضرب بالمطرق، وغيره الضريبة القطعة من القطن أو الصوف. (ابن منظور، 1978، صفحة 548)

لقد ذهب "آدم سميث ADAM SMITH" إلى أنّ الضريبة، هي ذلك النّصيب من المال الذي يسهم به أفراد المجتمع في تحمّل أعباء النفقات الحكومية، كما يشير لكونها فريضة مالية تستأديها الدولة من الأشخاص الآخرين دون مقابل وذلك بغرض تحقيق أهداف فلسفة الحكم. (القاضي، 2014، صفحة 44)

ويذهب "كولير KOHLER "في تحديد مفهوم الضريبة، إلى أنّها تحويل إجباري للأموال من القطاع الخاص إلى القطاع العام، تفرض وتجبى على أساس معايير مقّررة مسبقا.(القاضي، 2014، صفحة 44)

و قد وصف بعض الباحثين الضريبة، بأنّها من مستلزمات السلطة التي تمارسها الدولة على الأفراد، كما أنّها من العناصر الاحتكارية التي تستأثر بها الدولة، كاحتكار استخدام العنف وهي أيضا من خصائص السلطة السياسية والسيادة القومية وذهب البعض الآخر إلى وصفها بأنّها علاقة تبادلية بين الأفراد والدولة، انطلاقا من نظرية العقد الاجتماعي لـ "جون جاك روسو JOHN JACK ROUSSEAU" واتّجه آخرون إلى اعتبارها عقد إيجار، فالدولة توجِد وتخلُق الخدمات والمرافق العامة والفرد يدفع لها الإيجار نظير استخدام هذه المرافق، وهي الضريبة. (قاسم ونجية، 2008، صفحة 80)

أّما إجرائيا فنحاول تبني المفهوم التالي:

تعرف الضريبة بأّنها مبلغ من المال، تفرضه الدولة من خلال وزارة المالية على جميع الأفراد أي أّنه إلزامي دون حصولهم على مقابل مباشر، بل بشكل غير مباشر، ويتمثل هذا الأخير في الخدمات الحكومية والمشاريع التنموية التي تقدمها الدولة لهم وهي أنواع منها: ضريبة الدخل، الضريبة على الأرباح، ضريبة المبيعات وغيرها، حيث من خلالها تموّل الدولة جزءا كبيرا من احتياجاتها المالية. (عقيلي، 2013، صفحة 656)

2.2. التهرب

التهرب من الهروب، والهرب الفرار، هرب يهرب هربا، فّر يكون ذلك للإنسان، وغيره من الحيوان. (ابن منظور، 1978، صفحة 783)

هناك من يحدد فعل الهروب، باعتباره سيرة حركية واعية أوغير واعية ذات دوافع أوبدونها تعمل على إبعاد الفرد عن موقف معين، وهي حالة فرار من الوسط ومن الالتزامات الاجتماعية. (كركوش، 2008، صفحة 36)

و ينظر إلى الهروب، على أّنه عملية معقدة من السلوكات والاستجابات، التي ترتبط بأحداث موقفية ذات الصّلة بعلاقات صراعية. (كركوش، 2008، صفحة 36)

فكثيرا ما اعتبر الهروب نوعًا من النشاط المنحرف بسبب انعكاساته السلبية، حيث صنف ضمن مختلف الأنشطة الانحرافية المتعددة الأشكال، كما يعّد الهروب ميكانيزما دفاعيا يحاول الهارب من خلاله أن يتوافق والمواقف المحبطة، عن طريق تحاشيها وعدم مشاركته الايجابية في أنشطة الجماعة، أو بإبداء اتجاهات غير تعاونية، ويمكن أن تشمل صور الهروب تفادي كل أنواع التفاعل الاجتماعي(كركوش، 2008، صفحة 34)، ومنه فإّن الهروب أو التهرب هو فعل استراتيجي بالنسبة للفاعل يهدف من خلاله تحقيق مكسب وفق تقديره، أو نجاة من ضرر قد يلحق به يصنفه في خانة الخطر.

3.2. التهرب الضريبي

التهرب الضريبي هو كل فعل يقوم به دافعي، أوالمكلّفين بالضرائب، للتهرب من دفع الضريبة بوسائل غير مشروعة مثل عدم الإعلان عن محل مداخيلهم وإيراداتهم إلى السلطات الضريبية، أوالادعاء كذبا بإعفاءات لا يستحقونها (حسام الدين، 2011، صفحة 255).

و يعرفه" أندريه باريلاري Andree Barilari" بأنه: "الامتناع أو التخفيض بطريقة غير شرعية عن دفع الضرائب المستحقة، ونماذجه متنوعة كالأخطاء الإدارية في التصريحات، تخفيض الإيرادات وتضخيم النفقات وفي الغالب يتخذّ التهرب شكلين هما:

- تضليل إدارة الضرائب وذلك بالكف عن تقديم المعلومات الكافية حول الوضع المالي والذي على أساسه يتم تقييم قيمة الضريبة الواجبة الدفع.

- أو تغيير أساس الضريبة، أي تغيير المبالغ التي تخضع للضريبة. (تومي، 2012، صفحة 45)

كما يعرّف التهرب الضريبي بأنه تخلّص المكلّف من التزامه القانوني، بعدم دفع الضريبة المستحقة عليه كليا أو جزئيا بإتباع طرق وأساليب احتيالية مخالفة للقانون، ويمكن أن يتم التهرب قبل تقديرها باستخدام تصريح غير دقيق، أوبعد تقديرها بالامتناع عن دفعها لخزينة الدولة. (عفانة والقطاونة، 2008، صفحة 20)

4.2. المِخيال الاجتماعي

إنّ مفهوم المِخيال يجمع بين التصوّر والخيال ويتجاوزهما، ويرى "جيلبر ديران Gilbert Duran" أنّه من غير اللائق النظر إلى التخّيل على أنّه ظاهرة سابقة للفكر العقلي السليم، بل يجب النظر إليه على أنّه عامل أساسي في توازن النفس-اجتماعي (شوشان، 2017، صفحة 16).

لقد استعملت الأنثروبولوجيا الفرنسية مفهوم المِخيال الجماعي، فعرّفته بأنّه مجموعة من التمثّلات الأسطورية للمجتمع فالمِخيال هو الإطار الجماعي الذي يّوجه ويحدد طبيعة مسيرة المجتمعات وحضاراتها، كما يحدد ما يسمى بـ "الشخصية القاعدية Basic Personnality" لمسار الفرد وسلوكه، فالمِخيال هو روح الثقافة المجتمعية (زندري، 2016، صفحة 297).

كما يسعى المِخيال الاجتماعي نحو ترسيخ بعض المعتقدات، التي تساعد على استمرار بعض السلوكيات التي ينتجها المجتمع، (زندري، 2016، صفحة 297) فوفق المِخيال الاجتماعي يتصرف ويتفاعل الفرد من منطلق الشعور الجمعي لديه.

المِخيال يشير إلى شيء متشكّل تاريخيا، في اللاوعي الثقافي والرمزي لمجتمع ما، وهو قابل للتحريك لأنّ له طبيعة دينامية وحيوية، (سومار، 2016، صفحة 50) والمِخيال ليس بالضرورة نقيضا للواقع، بل هو أحد أبعاده وجزء متداخل فيه.

كما يُعِدُّ "جيلبير دوران "المِخيال الاجتماعي دينامية منظمة تمثّل بدورها عامل تجانس في التمثّل، فعوض أن يكون الخيال مَلكة لتشكيل الصور، يغدو مَلكة مُصحِّحة للإدراك أو مَلكة لتحريف الصور الصادرة عن الإدراك.(سومار، 2016، صفحة 64)

يُفرِّق "محمد أركون" بين الخيال والمِخيال، فالمِخيال يتشكّل تاريخيا في الذاكرة الجماعية أو في الذهن، ويمكن استغلاله سياسيا أو أيديولوجيا، فهو يضرب بجذوره في أعماق اللاوعي عبر تشكّله خلال مختلف المراحل التاريخية، هكذا نتحدث مثلا عن مِخيال إسلامي ضدّ الغرب أومِخيال غربي ضدّ الإسلام، فالمِخيال هنا عبارة عن شبكة من الصور التي تستثار في أية لحظة، بشكل لا واع وكنوع من ردّ الفعل، فكلّ فئة تُشكّل صورة محددة عن الفئة الأخرى، وتترسّخ هذه الصورة بمرور الزمن في الوعي الجماعي (الشّبة).

وممّا تقدّم، يمكن أن نعدّ المِخيال الاجتماعي مُتمثّلا في مجموع التصورات والتمثّلات التي تترسّب بالتنشئة، ويتم تناقلها عبر الأجيال من خلال المثاقفة، التي يتم تعميمها عن

طريق الدين والأدب والفنون والأساطير واللغة المتداولة والخطاب السياسي ووسائل الاتصال الحديثة وأنظمة الدعاية والإشهار.(الخويلدي)

3. مجالات الدراسة

1.3. المجال الزمني

شمل المجال الزمني الفترة الممتدة بين 2019/03/12 إلى 15/04/ 2019، تخللتها زيارات إلى كل من المفتشية العامّة للضرائب ومقر مديرية الضرائب، ثم إلى مجلس قضاء عنابة للحصول على مختلف الوثائق التي تخص الظاهرة.

2.3. المجال المكاني

لقد شملت الدراسة الميدانية المجال المكاني لمدينة عنابة ، حيث توّزعت العينة المتمثلة في التجّار والصناعيين والحرفيين عبر مختلف مناطق المدينة، ما بين وسطها وناحيتها الغربية، وهي منطقة السهل الغربي، وجنوبها وهي المنطقة الصناعية جسر بوشي Pont Bouche .

1.2.3. أركيولوجيا المخيال العنّابي

إنّ المخيال من حيث هو معطى انثروبولوجي، له خاصية طغيان اللاوعي وصفة الجماعية يتشكّل تاريخيا بفعل التراكم المعرفي في الذاكرة الجماعية.

ومن هذا المنطلق، فمحاولة الحفر في المخيال العنابي تجاه الضريبة والممارسة الضريبية، يحيلنا بالضرورة إلى طبيعة مضامين التصورات المشكلة لدى المكلفين اتجاه الإدارة الضريبية وممارساتها والسلطة الوصية عليها على امتداد المراحل التاريخية المختلفة، باعتبار أنّ جوهر النظام الضريبي الراهن هو امتداد للأنظمة الضريبية الكولونيالية والعثمانية.

وانطلاقا من مصادرة ميرلو بونتي Merleau Ponty التي مفادها أنّ الأفراد يشكّلون واقعهم انطلاقا من تمثّلهم، فحري بنا لفهم الممارسة الضريبية الوقوف على العلاقة بين

المكلفين بالضريبة والإدارة الضريبية والتي بموجبها يتم تشكيل صورة ذهنية عنها، ليكون السلوك بمقتضى هذه الصورة. (الشبة، 2014، صفحة 18)

لقد تمثل المكلّف العنابي الإدارة العثمانية إدارة تعسفية متسلّطة، خاصة خلال فترة حكم ما يعرف بالجيش الانكشاري والتي أخذت طابع المقايضة، أي التحصيل الضريبي المستمر مقابل الحماية من أي عدوان خارجي محتمل، وقد اتسمت الإدارة العثمانية في هذه المرحلة بالمركزية المتشددة والبيروقراطية المنغلقة، وممارسة إقصاء الأهالي المحليين من تقلّد الوظائف الإدارية، (ميلود، 2011، صفحة 59) فالفرد يتعامل إداريا مع ذلك الآخر المختلف.

ويذهب بعض الباحثين في شأن العلاقة بين الفرد والإدارة العثمانية إلى وصفها بالتنافرية فالممارسات الإدارية المبنية على الإقصاء والتجاهل لإشباع حاجات الأفراد واهتماماتهم، قابلها رفض المكلّفين تسديد ما عليهم من الأتاوى والضرائب التي تُدفع كأجور للجنود ولتمويل العمليات الحربية، ما أثّر بوضوح على الجاهزية العسكرية للأسطول العثماني (ميلود، 2011، صفحة 60).

وبالمحصلة، فممارسات السلطة العثمانية من صراعات على الحكم واستئثار بمنافع الثروة مع إقصاء المحلي من سلطة القرار والتسيير، أدت إلى اعتبار الأفراد أدوات لجمع الاموال تحت مسمّيات مختلفة، منها الضرائب والإتاوات وغيرها، دون تحقيق منافع واقعية مباشرة، ما أدى بالأفراد إلى رفض تلك الممارسات، ومعاقبة السّلطة العثمانية وإدارتها بالامتناع أو التهرب الضريبي، وبالتالي تشكيل صورة في المخيال الجماعي بأنّ السلطة العثمانية وامتداداتها الإدارية المالية، سلطة متعسّفة ومهيمنة وفارضة للثقل الضريبي ومنه وجبت مقاومتها.

ولا يختلف الوضع كثيرا في المرحلة الكولونيالية، حيث تضافرت عدة عوامل في تشكيل المخيال العنابي منها:

أولا : أنّ السلطة التي تفرض الضريبة، سلطة مغتصبة للأرض والممتلكات والحقوق، فهي تتموقع في خانة العدو الذي يجب مقاومته بشتّى السّبل، وما التهرب الضريبي إلا شكل من أشكال تلك المقاومة.

ثانيا : أنّ السلطة التي تفرض الضريبة تكرس اللاعدل الضريبي بتمييزها بين المكلفين، أي التمييز بين الأوروبيين وما يسمى بالأهالي .

ثالثا : لقد وعى المكلّفون بالضريبة أنّ الغرض من فرض الضرائب هو إيصالهم إلى حالة العجز عن دفعها، ما يضعهم تحت طائلة العقوبة وهي مصادرة الممتلكات .

رابعا : لقد وعى المكلّفون بالضريبة أيضا، أنّهم لا يستفيدون من العوائد الضريبية سواء بصفة مباشرة أوغير مباشرة، فهم لا ينتفعون منها لا في البنية التحتية، ولا في المرافق العامة، جرّاء التمييز المجالي لمن يسّمون بالأهالي .

وبالنتيجة، فالمخيال العّنابي تشكّل بفعل تراكم معارف حول ممارسات كل من الإدارة العثمانية والكولونيالية التي توارثتها الأجيال المتعاقبة .

3.3. المجال البشري

لقد اعتمدنا في هذا البحث على العينة القصدية المختارة عشوائيا، والتي تكونت من **(30)** فردا موزعين بين تجّار (جملة وتجزئة)، حرفيين وصناعيين، وإن كانت لا تعكس المجتمع الأصلي إلاّ أنّها تعطي فكرة عن مِخيال وتصورات شريحة من المجتمع اتجاه الضريبة والتهرب الضريبي، فالمجتمع الجزائري على العموم حامل لثقافة واحدة، يشترك أفراده في سمات معينة للشخصية، بحكم البيئة المشتركة، وهو ما أنتج الشخصية الجزائرية المنوالية، (نعمان، 1997، صفحة 53) ومنه تماثل التصورات والتمثّلات.

1.3.3. خصائص العينة

الجدول رقم (01): توزيع العينة حسب الجنس والسّن والمستوى التعليمي

الجنس		المستوى التعليمي	السن				المجموع
			من 25 إلى 35 سنة	من 36 إلى 45 سنة	من 46 إلى 55 سنة	أكثر من 55 سنة	
ذكر	التكرارات	ابتدائي	0	01	0	0	01
	النسبة المئوية		0.0 %	3.3%	0.0%	0.0%	3.3%
	التكرارات	متوسط	02	03	03	01	9
	النسبة المئوية		6.7%	10%	10%	3.3%	30%
	التكرارات	ثانوي	03	04	03	00	10
	النسبة المئوية		10%	13.3%	10%	0.0%	33.3%
	التكرارات	جامعي	03	01	03	02	09
	النسبة المئوية		10%	3.3%	10%	6.7%	30%
أنثى	التكرارات	جامعي		01			01
	النسبة المئوية			3.3%			3.3%
المجموع			26.7%	33.3%	30%	10%	100%

المصدر: بيانات أسئلة الاستمارة الثلاثة الأولى.

يبّين لنا الجدول رقم **(**01**)**، البيانات الأولية حول أفراد العينة، والمتمثّلة في الجنس والسّن والمستوى التعليميحيث يكشف لنا عن هيمنة ذكورية واضحة تخصّ النشاطات الاقتصادية الخاصة " Privee"، حيث مثّل الجنس الأنثوي نسبة **(**03.3%**)** من أفراد العينة، وهو ما يؤشّر على أنّ المنحى المهني في المجتمع الجزائري، كل مؤشّراته تدّل على أنّ فئة النساء تتجه إلى الوظيفة الإدارية والخدماتية على وجه الخصوص، أو أنّ أغلبهنّ ماكثات في البيوت.

كما يكشف لنا الجدول عن هيمنة فئة الشباب على أفراد العينة، التي احتوت على**(7.**26%**)** سنّهم من25 إلى 35 سنة، و**(**33.3%**)** منهم من 36 إلى 45 سنة، و**(**30%**)** سنّهم من 46 إلى 55 سنة و(10%) سنّهم أكثر من 55 سنة، وقد يرجع سبب سيطرة فئة الشباب على النشاطات الاقتصادية الحرّة إلى سياسة الحكومة التي أطلقت برامج عُرِفت بدعم تشغيل الشباب، من خلال تشجيع إنشاء المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، الموّجهة لفئة الشباب " CNAC - ANSEJ"، والتي كانت بدون دراسة جدوى اقتصادية، بل

هدفها سياسي سلطوي بالأساس، حسب ما ذهب إليه العديد من المختصّين في هذا المجال، ويُعزّز هذا الاتجاه الواقع المأزوم لهذه المؤسسات ومآلاتها.

ويُبّين لنا الجدول السابق، المستوى التعليمي لأفراد العينة، فكانت نسبة ذوي المستوى التعليمي الابتدائي (03.3%) والمتوسط (30%)، أّما الثانوي والجامعي فكانت (33.3%) لكلّ منهما وهذا ما يكشف عن أنّ أغلبية أفراد العينة تنتمي إلى الفئة المُثقّفة، وعليه فهي على قدر مُعّين من الوعي والمسؤولية اتجاه التهرب الضريبي.

الجدول رقم (02): النوع والطبيعة القانونية للّنشاط

		الطبيعة القانونية للنشاط		المجموع
		معنوي	طبيعي	
نوع النشاط	صناعي	0	01	01
	تجاري	01	20	21
	خدمي	0	02	02
	حرفي	01	05	06
المجموع		02	28	30

المصدر: بيانات أسئلة الاستمارة- السؤالان رقم (04) ورقم (05).

يمثّل الجدول رقم (02)، نوع النشاط الممارس من طرف أفراد العينة وطبيعته القانونية فكانت نسبة الممارسين للنشاط التجاري (70%)، والنشاط الحرفي (20 %)، والخدمي (06.7%)، أّما الصناعي فكان (3.3%)، ويعود طغيان النّشاط التجاري على مختلف النشاطات الأخرى، إلى جعله وحده الكفيل بتحقيق المردودية المادية في ظرف زمني محدود.

وفيما يتعلق بالطبيعة القانونية للنشاط الممارس، فقد كانت غالبية أفراد العينة تنضوي تحت ما يعرف بـ "الشخصية الطبيعية Personne Physique" بنسبة (93.3%)، ونسبة (06.7 %) أي باقي أفراد العينة، تحت "الشخصية المعنوية Personne Morale" وهذا ما يكشف بأنّ الجزائري يتجّنب كل ما هو تعقيد بيروقراطي، فتأسيس شركة ذات شخصية معنوية في الجزائر يتسّم بالتعقيد الإداري والتزامات اتجاه الإدارة عموما، والإدارة الضريبية خصوصا وهو ما قد يكون عاملا من عوامل الإحجام عن تشكيلها.

4. لا معيارية النظام الضريبي والقطيعة بين الأجيال

لقد كان لـ **(20%)** من أفراد العينة، **سوابق نزاعية مع إدارة الضرائب**، فجدول السؤال رقم **(09)** يكشف عن القابلية للفعل الجُرمّي، وبالتالي يحيلنا إلى مقاربة "ديتيليو Detellio" من أنّ الاستعداد الإجرامي يرجع أساسا إلى عوامل شخصيةوعوامل اجتماعية، تَضعُف بسببها مقاومة الشخص لرغباته ومشاعره، فيندفع إلى ارتكاب الجريمة، ومنه فالنزاعات المُتكررة مع الإدارة الضريبية، تُؤشّر لاستعداد المُكلّف لخرق قواعد النظام الضريبي (مرعي، 2016، صفحة 240)، لقد اظهرت النتائج أنَّ **(20%)** كانت لديهم سوابق نزاعية **(10%)** منهم قاموا بفضّها عن طريق دفع ما عليهم ، وفق رزنامة معينة، أمّا البقية فلم تفض بعد، في حين أنّ **(80%)** من أفراد العينة، ليست لديهم نزاعات مع الإدارة الضريبية، ما يدفعنا إلى الاستنتاجات التالية:

- الأول يحمل معنى إبسيمولوجي نقدي: ومفاده أنَّ أفراد العينة، لم يقّموا الإجابة الدقيقة حول نزاعاتهم مع الإدارة الضريبية، فهي حالة كونها تحمل سوابق جنائية، تَجلِبُ له إحراجا، ما يستدعي التستر عليها.
- الثاني يحمل معنى مفاده: أنّ أفراد العينة، يتحاشون النّزاعات مع الإدارة الضريبية، باعتبارها نزاعات محسومة لصالح الإدارة سلفا، تفاديا لأية عقوبات مالية.

وبخصوص السؤال رقم **(10)**، والذي مفاده: هل كان للأب أو الجد سوابق نزاعية مع إدارة الضرائب؟، أجاب **(86.7%)** من أفراد العينة بِلا، وقد يرجع ذلك ، إلى أنّ الآباء والأجداد كانوا يمارسون وظائف يتقاضون عليها أجرًا ما يُخضِعهم إلى نظام الاقتطاع من المصدر، الذي لا يسمح لهم بالتهرب الضريبي، في حين أنّ بقية أفراد العينة، والمتمثلة في **(13.3%)** قد أقروا بأنّ لآبائهم أو أجدادهم سوابق نزاعية مع الإدارة الضريبية، ما قد يُشَكّل في مخيال الأبناء أو الفروع تصورا معّينا اتجاه الضريبة والإدارة الضريبية، فالمِخيال

الاجتماعي، كما سبق أن أشرنا إليه في التعريف الإجرائي هو مجموع التصورات والتمثّلات التي تترسب بالتنشئة، ويتم تناقلها عبر الأجيال من خلال المثاقفة.

وحول تعامل الوالد مع النظام الضريبي الجزائري (من خلال السؤال رقم **(**11**)**، ذهب **(**53.3%**)** من أفراد العينة إلى أنّ والدهم كان يدفع الضريبة ُمكرها، تفاديا لأية نزاعات مع الإدارة الضريبية، قد تمتد إلى المحاكم القضائية، فقد ترسّخ في مِخيال الآباء والأجداد، عبر الخبرة في التعامل مع الّنظام السلطوي، أنّ أي نزاع مع أحد أطراف هذا الأخير، هو نزاع محسوم لصالحه مسبقا لأنّ القضاء قضاؤه، والإدارة إدارته، وأدوات العنف هو الذي يحتكرها.

ومن خلال جدول السؤال رقم **(**12**)** والذي مفاده**:** كيف كان يتعامل جدك مع النظام الضريبي الجزائري والاستعماري؟ أجاب **(**13.4%**)** من أفراد العينة بأنّ أجدادهم كانوا يدفعون الضريبة مكرهين، فالّنظام الضريبي الكولونيالي كان أداة لأهداف استعمارية، شكلّت ضغطا على الجزائريين توارثته الأجيال عبر مراحل الجزائر المستقلة لأنّ النظام الضريبي الجزائري هو امتداد للنظام الضريبي الكولونيالي، فيما يجهل بقية أفراد العينة، كيفية تعامل آبائهم أو أجدادهم مع النظام الضريبي الجزائري والاستعماري.

في جدول السؤال رقم **(**13**)**، الذي مفاده: هل أسرتك تؤيد تهربك الضريبي؟ أفاد **(**93.3%**)** بالإيجاب، ويبدو الباعث لهذا التوجه الأسري تجاه فرد من أفراد الأسرة، ينم عن فعل التضامن داخل المجال الاجتماعي الخاص بالأسرة، فالُمكلّف باعتباره عنصرا من عناصر الأسرة، لا تريد له هذه الأخيرة الدخول في أية نزاعات، ومن ضمنها الّتواعات مع الإدارة الجزائرية والضريبية على وجه الخصوص فأثر العقوبة الضريبية ينعكس عليها، وهذا ما يطلق عليه التضامن المعنوي، الذي يشمل المساندة العاطفية بين أفراد الأسرة، من خلال تفاعلهم مع بعضهم البعض. (غيث، 2006، صفحة 466)

5. التهرب الضريبي بين الممارسة الُجرمِية والمسكوت عنها

وفيما يخص الأسئلة رقم **(14)**، **(15)**، **(16)**، التي مفادها:

1) هل التهرب الضريبي ممارسة مقبولة؟

2) هل توافق على تجريم فعل التهرب الضريبي؟

3) هل تعتقد أنّ تجريم التهرب الضريبي يتوافق مع قيمك العائلية؟

في محاولة لمعرفة القيمة المعيارية لفعل التهرب الضريبي، من حيث أنه يمثل فعل جُرمي أم لا بالنسبة للمجتمع، فقد نجد أفعالا يـُجَرِّمها القانون ولا يـُجَرِّمها المجتمع والعكس كذلك، ذهب**(86.7%)** من أفراد العينة، إلى اعتبار أنّ التهرب الضريبي ممارسة مقبولة، ولا يوافقون على تجريمه، وتجريُمه لا يتوافق مع قيمهم العائلية، في حين أنّ **(13.3%)** من أفراد العينة، تعتبره ممارسة غير مقبولة وتوافق على تجريمه، وهو ما يتوافق مع قيمها العائلية.

وعند السؤال رقم **(19)**، حول هل تعي أن فعل التهرب الضريبي فعل مُجرَّم؟ أجاب **(90%)** من أفراد العينة بنعم وهو ما يؤشر على الاختراق الواعي للقانون الضريبي، في حين أنّ **(10%)** لا يعلمون بتجريمه.

لقد عبَّرت الفئة الأولى عن رفضها للنظام الضريبي الُمجرِّم لفعل التهرب الضريبي، واعتبرته من الناحية المعيارية، فعلا مقبولا اجتماعيا، لا يستوجب عقوبة، وبالتالي عَبَّرت عن حجم الإكراه الممارس ضدها، من طرف كبار" الوصَّامين Stigmateurs"، مُشَكِّلة بذلك ثقافة فرعية جانحة لها معاييرها المتوافقة مع سلّمها القيمي، واستراتيجيتها الصراعية في الحقل الاجتماعي الجزائري.

لقد عدّ "كوهين Cohen" منظومات القيم والمعايير، التي تُشَكِّل الثقافات الفرعية الجانحة تساعد الأفراد على الإحساس بالدعم والأمان والاندماج، وهذا بحكم أنّ سلوك (

التهرب الضريبي) أضحى مُثَمَّنا ومُعتَبرا ومقبولا (سموك، 2018)، في حين أنّ الفئة الثانية مُمتَثِلة للقيم المعيارية الرسمية.

ومن خلال جدول السؤال رقم **(17)**، الذي مفاده أنّ: التهرب الضريبي لا يستحق تسمية جريمة أجاب (83.3%) من أفراد العينة بنعم، وتراوحت تبريراتهم ما بين، أنّ التهرب الضريبي لا يرقى إلى جريمة قتل، أو أنّه في ظل النظام السائد الفاقد للشرعية لا يعتبر جريمة، أو أنّ النظام الضريبي غير عادل وبالتالي ليس جريمة، فالمكلّف المخالف للقوانين الضريبية لا يشعر أنّه ارتكب مخالفة في حق المجتمع، كشعوره عندما يقتل أو يسرق، بل إنّ هناك من قال بأنّ المتهرّب من الضريبة هو سارق شريف لأنه لا يسرق إلا الدولة، والتي يعتبرها شخصا معنويا ولا يلحق الضرر بالآخرين وهو ما تشكّل في مِخيال الجزائري المكلّف ضريبيا، وقد اعتبر باقي أفراد العينة، المتمثّل في (16.6%)،أنّ التهرب الضريبي لا يستحق تسمية جريمة بلا، باعتباره مخالفا للقانون، فضلا عن أنّه غِش، ما يتعارض مع القيم الأخلاقية والدينية المتبناة من المجموعة الاجتماعية في الجزائر، فكانت ثقافة هذه الفئة امتدادا لثقافة الفئة المهيمنة أو السلطة الرسمية.

يبين جدول السؤال رقم **(18)**، الذي مفاده: هل لديك ثقة في إدارة الضرائب؟ بأنّ **(90%)** من أفراد العينة لا يثقون بها فيما أجاب البقية بنعم.

تخضع إدارة الضرائب لسلطة مركزية مرتبطة بوزارة المالية، التي تعد من مقومات السلطة القائمة، فالمكلّف يرى في هذه الأخيرة تلك السلطة غير الشرعية، ومصدر الفعل الإكراهي، والسياسات الاقتصادية غير الرشيدة، فالثقة من حيث هي بناء يتشكّل أو ينعدم أثره من خلال العلاقات التفاعلية بين الطرفين، فهي تتشكل من خلال تكرار وثبوت وصحة الشيء وصدقه، وتنعدم من تكرار عدم ثبوت صحته وصدقه.

إنّ الثقة بين أفراد المجتمع الجزائري، والمكلّفين بالضريبة خصوصا، مع "السلطة/الدولة" أثّرت عليها عدة عوامل منها:

1.5. سياسة الإنفاق العام

إن سياسة الإنفاق العام تلعب دورا هاما، في التأثير على درجة ثقة المكلّف اتجاه السلطة فهي تتشكّل من خلال التوظيف الكُفء للإيرادات الضريبية(من طرف السلطة)، بما يخدم أفراد المجتمع أي استثمارها وفق الأهداف الاقتصادية والاجتماعية، وعند فقدان الثقة في أجهزة الدولة القائمة، يدفع هذا الإحساس بالمكلّف إلى التهرب الضريبي، فمن خلال جدول السؤال رقم **(**21**)**، الذي مفاده: هل الضرائب تصُب في المصلحة العامة؟ أجاب **(**80%**)** من أفراد العينة بلا وهذا ما يؤشّر على انعدام ثقة المكلّفين اتجاه "السلطة/الدولة"، ومنه الإدارة الضريبية، وفي هذا الصدد يقول أحد الكتّاب اللبنانيين:

"في هذا البلد أشعر بأنّ التهرب الضريبي فضيلة وطنية إنسانية، أشعر بشهوة إلى التهرب ذِكاية بهذه الحكومات". (بلعوجة، 2017، صفحة 289)

2.5. المشاركة المدنية في صنع القرارات

ما دام المجتمع هو مصدر السيادة، فالمطلوب من السلطة أن تُشرِك أفراد المجتمع في اتخاذ مختلف القرارات بما فيها السياسية والاقتصادية، فسياسة الإقصاء وعدم إتاحة المجال للتعبير، تُضعِفان روح المواطنة، وعدم إشراكهم في صياغة القوانين التي تُسيِّر حياتهم، بما فيها القوانين الضريبية، يُشَكّل لديهم شعورا بعدم الانتماء للدولة، ما يُبرِر فعل التهرب الضريبي.(بلعوجة، 2017، صفحة 290)

وهذا ما قد يؤكِد اتجاه **(**60%**)** من أفراد العينة، الذين أقروا بأنّ الذي أثّر على نظرتهم تجاه الضريبة، هو نظام الحكم (السؤال رقم 20)، فهذا الأخير، بنظامه الاقتصادي وعدم كفاءته الإدارية، حال دون الشعور بالانتماء إلى المجموعة الاجتماعية والمؤسسات التي تقودها.

لقد تمظهر هذا الإحساس، الذي ينّم عن حالة سيكولوجية صراعية بين المكلّفين ، ظهرت في مكونات عينة البحث حيث اختار بعض من أفرادها إجابتين، فكانت نسبة

(53.4%**)** ممن اعتبر أنّ السياسة الاقتصاديةالمتّبعة، هي التي أثّرت على نظرتهم تجاه الضريبة، وقد أشرنا إليها في عنصر سياسة الإنفاق العام.

أجمع أفراد العينة على أنّ الجانب التاريخي لم يؤثر على نظرتهم للضريبة، بخلاف نظام الحكم والسياسة الاقتصادية ونستطيع أن نميّز معنيين في هذا الشأن:

- أنّ أغلب "الأنشطة الليبرالية Activites Liberales "، ازدهرت في الآونة الأخيرة ما زاد من حجم المعاملات مع الإدارة الضريبية، بخلاف الأزمنة الماضية.

- أنّ الموروث التاريخي، هو أحد مشكّلات بنية اللاوعي، فهو يؤثر على سلوكات الأفراد دون وعيهم بذلك، "فالتصورات المشكّلة للآباء والأجداد عن الضريبة تناقلتها الأجيال المتعاقبة من خلال التنشئة".

لقد اعتبر **(**90%**)** من أفراد العينة، أنّ عقوبة التهرب الضريبي قاسية، فيما ذهب **(**10%**)** منهم إلى أنّها مناسبة وتتمثل عقوبة التهرب الضريبي، في العقوبة المالية، ابتداء من 25% من مبلغ الضريبة في حالة التأخر عن دفع الالتزامات الضريبية ، إلى 100% في حالة الإشكالات التصريحية للمكلّف ما يسمى في المعاملات الإدارية غشّا ضريبيا، يقتضي وضع المكلّف في بطاقية الغشّاشين الوطنية حسب ما ذهب إليه مدير مكتب المنازعات بالإدارة الجبائية لولاية عنابة ، وقد تمتد العقوبة إلى غلق محل النشاط، أو الحجز أو حتى عقوبة سالبة للحرية.

يظهر جدول السؤال رقم (20)، إجابات أفراد العينة عن سؤال:هل أنت مُطّلِع على قانون الضرائب؟ حيث نفى **(**93.3%**)** منهم اطلاعهم عليه، فهذه الإجابة تحيلنا إلى عدة قضايا معرفية بالأساس، مرتبطة بحيازة الثقافة الضريبية التي يحتاجها المُكلَّف الجزائري، ويمكن أن نستنتج بأنّ الجزائري لا يقرأ، رغم أنّ المعلومات حول الضرائب متوفرة بمختلف المديريات والمصالح، وموجودة أيضا في الموقع الإلكتروني للمديرية العامة للضرائب، ولذا

نجد قلة من المكلفين من يحوز على ثقافة ضريبية حيث قدّرتهم الدراسة الميدانية بـ **(**6.7%) من أفراد العينة وقد شكّلوا تلك الثقافة خلال مسارهم الدراسي.

بالُمَحصِّلة يمكن أن نُلَخِّص جملة العوامل المرتبطة بالجهل بقانون الضرائب (خاصة مضمونه الإكراهي)، إلى الآتي:

1) اعتماد أغلب المكلفين على المحاسبين في تسوية وضعيتهم الجبائية، وبالتالي لا يُكلف نفسه عناء البحث في المضامين القانونية والضريبة.

2) عدماستقرار التشريع الجبائي ، حيث تُقَرِّ قوانين المالية السنوية أو التكميلية، العديد من الإجراءات الجديدة الخاصة بقانون الضرائب، ما يصعب مواكبتها.

3) عدم الاهتمام بما تصدره الحكومة من قوانين ومراسيم، انطلاقا من فكرة مسبقة، أضحت تُشكّل عقيدة بانّ هذه الأخيرةتخدم فئة معينة بالأساس، ما يُنقِص من شرعيتها، وفي هذا الصدد أعرب **(**70%**)** من أفراد العينة أنّ القانون الضريبي لا يهمها في حين **(**23.3%**)** أكّدوا معرفتهم ببعض مضامينه.

6.خاتمة

- لقد تشكّل في مِخيال المكلّفين بالضريبة، تصورا سلبيا عن الضريبة المفروضة عليهم من طرف سلطة تمارس عليهم إكراهات متعددة، من خلال وضع القانون الضريبي وطرق تطبيقه، وعقوبات المخترقين له، ووصم أفعالهم بالتهرب والمتهربين وبالتالي فالقانون الضريبي هو الذي أنتج المتهربين.

- تمثل صورة الضريبة في مِخيال المكلّفين اقتطاعا غير شرعي من سلطة غير شرعية بفعل نظام ضريبي غير عادل يخدم فئة محدودة مهيمنة على القرار الضريبي، ما يستدعي مقاومته بطرق شرعية أو غير شرعية، من أجل فرض الذات داخل المنظومة الاقتصادية السائدة، التي تهيمن على مجموعة من الُعَصَب الاقتصادية، اغتنت من بيروقراطية اقتصاد الريع .

- إنّ عملية إعادة البناء الذي حاولنا انجازه للظاهرة موضوع الدراسة أنشأ واقعا سوسيولوجيا مشحون بقلق تساؤلي يمكن تلخيصه في التساؤلات التالية:

1. ماهي جهود الدولة في التأثير على تمثلات الأفراد تجاه الضريبة؟
2. ما مدى فاعلية الدراسات السوسيولوجية لظواهر الانحرافات الضريبية؟
3. كيف يمكن إقناع الفرد بجدوى الضريبة في الجزائر؟

7. قائمة المراجع:

مراجع باللغة العربية

ابن ابن منظور. (1978). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.

أحمد بن نعمان. (1997). *نفسية الشعب الجزائري*، ، ،،ص53 (الإصدار 02). الجزائر: دار الأمة.

أحمد لطفي السيد مرعي. (2016). *أصول علمي الإجرام والعقاب*، (الإصدار 01). الرياض: دار الكتاب الجامعي للنشر والتوزيع.

جاد الرب حسام الدين. (2011). معجم *المصطلحات السياسية والدبلوماسية والاقتصادية*. دار العلوم.

حسن محمد القاضي. (2014). *الإدارة المالية العامة*. عمان: الأكاديميون للنشروالتوزيع.

حسينة بلعوجة. (2017). *العلاقة بين المكلف والإدارة الضريبية في الجزائر*. تلمسان: جامعة ابي بكر بلقايد.

زهرة، شوشان. (2017). *الحكاية في المخيال الاجتماعي الجزائري*. الجزائر: جامعة الجزائر يوسف بن خدّة.

زهير، الخويلدي. (بلا تاريخ). *الخيال الابداعي والمخيال الاجتماعي*. تاريخ الاسترداد 23 01, 2019، من الحوار المتمدن: www.mahewar.org

سمية تومي. (2012). *دور المراقبة الجبائية والمحاسبية في الحد من ظاهرة التهرب والغش الضريبي في النظام الضريبي الجزائري*. عنابة: جامعة باجي مختار.

عاطف، غيث. (2006). *قاموس علم الاجتماع*. الإسكندرية: الإدارة المعرفية الجامعية.

عبد القادر، سومار. (2016). *الديمقراطية في العالم العربي، المخيال الجماعي والتمثلات الفكرية (الفكر، المعنى، المفهوم)*. سيدي بلعباس: جامعة جيلالي اليابس.

عبد النبي، زندري. (2016). العلاقة بين الاعتقاد والمخيال في بناء الخلفية الاجتماعية للتراث الشعبي. *مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية*، 297.

عدي عفانة، وعادل القطاونة. (2008). *المحاسبة الضريبية* (الإصدار 01). الأردن: دار وائل للنشر.

علي، سموك. (2018). محاضرة لطلبة ماستر 02 . *علم اجتماع الانحراف والجريمة*. عنابة: جامعة باجي مختار عنابة. (لم تنشر)

عمر وصفي عقيلي. (2013). *دليل المصطلحات والمفاهيم الأساسية في العلوم الإدارية والمالية والمصرفية والتسويق*. حلب: إقرأ للنشر والتوزيع.

فتيحة كركوش. (2008). *المحددات النفسية والاجتماعية لظاهرة الهروب من البيت العائلي*. الجزائر: جامعة الجزائر.

لطفي الشربيني. (2003). معجم *مصطلحات الطب النفسي*. الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.

محمد الشّبة. (بلا تاريخ). *دور مفهوم المخيال في قراءة أركون للفكر الاسلامي*. تاريخ الاسترداد 23 01, 2019، من منتدى طلبة بوزريعة: www.philobouzariah.ahlamontada.com

نايف علوان قاسم، وميلاد الزياني نجية. (2008). *ضريبة القيمة المضافة، المفاهيم القياس التطبيق*، . ليبيا: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

مراجع باللغة الأجنبية

Mehl, L. (s.d.). *Sciences et techniques fiscales* (Vol. 02). PUF.